مقاتلون عمانيون : الثورة ... مستمرة

عمان من الداخل :

الاغتيالات السياسية باتت ظاهرة بارزة في بعض مدن عمان

منذ بداية عام ١٩٧٦ م والثوريين العرب والعديد من المراقبين ينساءلون عن طبيعه الاوضاع وتطوراتها في عمان ؟ والى ماذا ال الصراع الحاد والذي وصل الى اعلى المستويات ، بين الثورة العمانيه وبين اعدائها ؟ فلقد شهدت الفترة بين نهايه عام ٧٥ وبداية عام ٧٦ التصعيد الاعلى لتدخل القوات الايرانية ضد قوات الجبهه الشعبيه لتحرير عمان مما ادى الى سقوط اخر المناطق المحرره بيد القوات القابوسيه الايرانيه والانسحاب لمناطق خلفيه ، ولقد ترافق ذلك مع الطرح الاعلامي المكثف عن انتهاء الثورة ونجاح القوات الايرانيه في تصفيتها . وشكلت وضعيه الجهل العربي لاوضاع عمان بل ولتاريخها البسيط وجغرافيتها الابسط ، ارضية للقبول ببعض هذه الاطروحات . ان لم يكن الوقوف بموقف عدم القادر على التفسير والرد . كما ان الواقع القبلي الذي لا تزال تعيشه عمان شكل في انعكاساته السياسيه وبرموزه القيادية وبطبيعه مسيرته اليومية ، كل ذلك مما شكل ما يمكن ان يكون مضاعفا لصعوبة فهم المتغيرات في الواقع العماني وطبيعه مجرياتها .

فيلل من الجغرافيا والتاريخ

عمان عبارة عن منطقه في جنوب شرقي الجزيرة العربية عملت الصحاري المحيطه بها من الشمال والغرب على عزلها في الماضي عن بقيه مناطق الجزيرة العربية وبالتالي بقيه العالم العربي ، بينما ادى وقوعها على بحر العرب وخليج عمان وبالتالي المحيط الهندي الى ارتباط الشعب حياتيا بالبحر والملاحة . واصبحت مناطق شرق افريقيا والهند وشواطىء جنوب شرق اسيا مناطق التوسع ، ومواقع الانحار ، والموانىء المعتادة للاساطيل العمانية . ولقد تنامت هذه القدرات وامتلك العمانيون فنون الملاحة . فاسسوا الممالك العربية على سواحل افريقيا ونشروا الحضارة الاسلاميه ومدوا خطوط تجارة والمواصلات وامتلكوا اسطولا قويا كان في فتره من الفترات اقوى قوة بحرية محليه بين افريقيا واليابان على حد قول مندوب الرئيس الامريكي في عام ١٨١٤ م الى عمان . وكان لكل ذلك اثره في ابتعاد عمان النسبي عن الفعل في الواقع العربي لفترات طويله ، وزاد من ذلك السيطرة البريطانيه وتوجه عائلة البوسعيد الحاكمة التي حاولت عزل عمان وبشكل موجه ودائم .

كانت عمان هي والمغرب العربي الدولتان العربيتان اللتين لم تسقطا امام حركة التوسع العثمانية . (وكثير من الكتب العربية تتحدث عن المغرب ولا تتحدث عن عمان) . وبينما كانت الاوضاع العربية تسير في تدهور تحت الاحتلال العثماني كانت عمان تحافظ على حيوية اقتصادية ونشاط سياسي وتوسع في المناطق المحيطة . ومنذ مجيء البرتغاليين الى مناطق الخليج وحتى هيمنة البريطانيين ، ظل اوار الثورات العمانيه مشتعلا لا يهدأ الى الفترة الراهنة . وفي بداية القرن الحالي فقط شن الشعب العماني ثورات هي من اطول الثورات العربية الحديثة - ضد الاستعمار ، تحت قيادة الامام - سالم الخروصي بين ١٩١٣ - ١٩٢٠ م . ولم تهدأ الاوضاع حتى قامت ثورة ١٩٥٧ - ١٩٥٩ والتي شكلت قيادة الامام غالب رمزها السياسي . ولا يزال الامام بالطبع خارج الاراضي العمانية ولم تنجح محاولات قابوس في انهاء اختلافها معه . وبالطبع تاتي الثورة الحاليه والمشتعلة منذ عام ١٩٦٥ م .

« الوضع الهادىء ، الهادىء »

تحاول السلطات في عمان تصوير الوضع في عمان وكأنه هادىء . الا ان عمان ابعد ما تكون عن ذلك . شكل الحركة والمرتبط بشكل التناقضات مختلف في عمان عن العديد من الاوضاع في عالمنا العربي . انه يأخذ شكل التراكمات الهادئة ، والمتفاعلات التي تحدث في كل يوم وساعه والتي تاخذ في نهاية الامر طابعا انفجاريا يبدو وكانه مفاجئا الا انه تتمة وتتويج لما كان - يحدث سابقا . والا مادا كان يحدث في عمان في الفتره الماضيه وتحديدا في السنه المنصرمة .

الاغتيالات عمل النظام المستمر

منذ مجيء قابوس الى السلطة اتخذت الاتجاهات القمعيه نهجا مختلفا ، وادخلت الى البلاد اساليب جديدة من اهمها الاغتيالات والتي تمتد لتصل الى كل المستويات . ولعل اشهر عمليه اغتيال قام بها قابوس هو قتل قاضي قضاه عمان الشيخ ابراهيم العبري حينما رفض محاكمة مجموعة من اعضاء الجبهة الشعبية لتحرير عمان واصدار الحكم المعد سابقا باعدامهم وقال لقابوس « حاكموهم واعدموهم مثلما اعدمتم من سبقهم » . بعد ايام قليلة قامت سيارة بصدم القاضي الى حد الموت . وفي مايو الماضي وجد النقيب عبد الله سعيد الراسبي قتيلا في سيارته امام منزله في امارة رأس الخيمة بعد ان اخترقت جسده حوالي ١٢ طلقة رشاش ، وقبل ان تتوصل لجنة التحقيق التي شكلها شيخ رأس الخيمة ورأسها ولي عهده ، الى معرفة الجهة التي اغتالت الراسبي ، كانت اصابع الاتهام تشير كلها الى حكومة قابوس ، وجاءت النتيجة التي توصلت اليها لجنة التحقيق لتؤكد ذلك . والمذكور هو احد الوطنيين العمانيين البارزين . درس وتخرج من الكلية العسكرية في القاهرة وانضم الى الامامة في مقاومة الانجليز ونظام الاسرة البوسعيدية . ثم حاول تكوين خط مستقل له . كان ناصري النزعة والاتجاه ، وشكل مع نفر من الوطنيين الحرك الشعبية لتحرير عمان ، بعد مجيء بريطانيا بقابوس .

اما في الاقليم الجنوبي فلقد اخذت الاغتيالات منحى مختلفا ومعقدا . ولكنه منحى لا يتوقف ويتنامى باستمرار . لقد اخذت السلطه تبعث كل الثارات القبليه القديمة والثارات والحزازات واحدث تؤجج من التوترات وتدفع بها منطلقه في ذلك ان الافضال بحد ذاته وبعض النظر عن هويه المفضلين هو عامل استقرار مهم لاوضاع حكام مسقط . وفي الشهرين المنصرمين مثلا قام والي ظفار بريك بن حمود بقتل مواطنا هو سالم احمد سباريه ، وقد نفذ عمليه القتل المدعو هلال فضل الله بعد ان استلم من والي ظفار مبلغ ١٥٠ ريال عماني . ولقد اشاع فضل الله ان المقتول قد انضم للجبهة الشعبيه وللثوار بينما اصدرت الاخيرة بيانا تنفي فيه ذلك . وبعد فترة قام احد العاملين لدى احمد بن حمود شقيق الوالي بصدم سيارة يسوقها احمد محمد اقينوت وبرفقته ، محمد سعيد سعد معرونت . الا ان العملية لم تنجح الا في قتل الاخير ونجا السائق . وللتغطية الزم السائق ومرتكب الحادث بتحمل دية القتيل مناصفة . وطيلة العام الماضي اشتعلت رياف ظفار في صراعات قبلية رهيبة راح ضحيتها العديد من القتلى . وحينما تدخل والي مرباط لصالح قبيلته وقام بقتل شيخ طاعن في السن تأرا لها ، لم يتردد قابوس في منحه وساما لقدرته على المحافظة على الامن حسب « التقاليد » بعكس الجبهة آلتي « تستورد الحلول » (وكانت

قابوس : احلام الاستقرار لم تتحقق !

الجبهة قد شكلت لجنة اثر اسقاطها لارياف ظفار لحل المشاكل والثارات القبلية المتراكمة ، اطلقت عليها اسم لجنة حل مشاكل الشعب ، حلت هذه المشاكل والثارات عبر التراضي والتسامح او الديات المتفق عليها عبر الجبهة ، ونبذ سياسة اللجوء للاقتتال) .

وتحاول السلطة عبر هذه التصرفات اعادة كل التناقضات القديمة بين قبائل المدينة وقبائل الجبل او قبائل البادية . ثم تحاول ان تدخل في اوساط كل قبيلة على حدة ، وفي وسط كل عشيرة واختراق حتى بعض العائلات لاحداث كل انواع الشقاق والاختلاف .

رغم كل شيء ، الجبهه تواصل القتال

على اثر قيام القوات العسكرية الايرانية بغزو اخر المناطق المحررة وهي المنطقة الغربية انقسمت قوات الجبهة الى قسمين . القسم الاول الذي بقي فيما يسمى بالقطاع الشرقي ، وهو القطاع الذي يقع على مبعدة من حدود اليمن الديمقراطية ، وفي اعماق ظفار . وهكذا تم تحويل القوات في شكل تجمعها الى قوات عصابات بعد ان كانت قد اخذت تقترب في تشكيلها من القوات النظامية والتي تتناسب مع وجود مناطق محررة . وقامت الجبهه باعادة تقييم كل تجربتها في هذا القطاع وفي كافة المجالات العسكريه والسياسية واعطيت الاولوية لتصحيح كافة الممارسات الخاطئة في بناء الجبهة الوطنيه . وكانت هذه المنطقة قد شهدت حركة انقلابية ومضادة للثورة في عام ١٩٧٠ م وفي هذا المجال تم تصحيح كافه الممارسات الطفوليه اليسارية والتي ادت في السابق الى توتير العلاقات مع الجماهير . وتم العمل في العديد من الاتجاهات وهي كالتالي :

١ - امتلاك القدرة على بقاء هذه القوات المتواجدة هناك معتمدة بشكل اساسي على امكانياتها وقدراتها الذاتية المحلية بما تعنيه هذه الكلمة من معنى .

٢ - خلق حماية عسكرية لهذه القوات التي ستنقطع في امدادها وتموينها عن مقرات جيش التحرير الاساسية وتشكيل حصن حقيقي معتمد على الالتحام الوثيق والمتين بالناس .

٣ - عدم الاشتراك في قتال الا في القتال الذي يقر مسبقا وتأخذ فيه قوات الجبهة المبادرة .

٤ - عدم الاشتباك في معركة تزيد مدتها عن ٢٠ دقيقة .

٥ - اختيار الاهداف بدقة واختيار المعارك بدقة بحيث آن تكون المعارك تؤدي الى خدمة برنامج الجبهة والتحالف الوطني . وبمعنى ادق يجب ان يركز حتى عسكريا على العدو الرئيسي العدو الاجنبي والمتمثل في الايرانيين والانجليز . وهكذا اتى قتل الضباط البريطانيين الستة في يونيو الماضي ليلقى التأييد شبه الشمولي وحتى في اوساط جيش السلطان والفرق المحلية الذين علقوا بالقول « يغيبوا ، ما دام هم ليسوا عمانيين » .

٦ - التركيز على شرق القطاع الشرقي ، والتحرك على المنطقة الغربية منه ، وعدم نسيان القطاع الغربي ، مع اخذ الاولويات بعين الاعتبار .

وكانت الجبهة قد وضعت برنامجا للعمل في عام ١٩٧٦م ، تلخص في الشعار القائل « لنناضل من اجل اعادة بناء انفسنا من جديد فكريا وسياسيا وعسكريا ، ثانيا مواصلة الحرب الثورية » . ولقد وقع تنفيذ الجزء الثاني من الشعار اساسا على قوات الجبهة في القطاع الشرقي . واذا كان العام ٧٦ - ٧٧ قد شهد العمليات العسكرية في القطاع الشرقي فان عام ٧٧ - ٧٨ قد شهد عمليات عسكرية على امتداد الاقليم الجنوبي .

ولقد حدثت العديد من العمليات العسكرية طيلة العام الماضي ولكننا سنستعرض ثلاث